مجلة المعجمية - تونس

ع 16-17

2001

في مفهوم الاقتراض الدلالي (*)

1 - تمهيـــد :

نخصص هذا الفصل لتحديد مفهوم الاقتراض الدلالي وذلك بتنزيله ضمن الاقتراض المعجمي وتمييزه عن الاقتراض المعجمي الحقيقي، وبتنزيله ضمن التوليد الدلالي وتمييزه عن المجاز. ونحاول عند تعريفنا للاقتراض الدلالي أن نبين الصعوبات التي تواجه الباحث في دراسة هذه الظاهرة ببيان منزلتها عند الباحثين وبإثارة قضية المصطلحات والمفاهيم التي يمكن أن تثير التباسا عند البحث فيها.

2 - أنواع الاقتراض المعجمي :

الاقتراض المعجمي هو أخذ لغة مورد (Langue cible) من لغة مصدر (Langue source) وحدة معجمية لسد خانة فارغة في نظامها المعجمي. وهو أكثر أنواع الاقتراض اللغوي تحققا وشيوعا. وقد انتهى لوي ديروا L. Deroy إلى قانون مفاده أنه «كلما كان العنصر المقترض معجميا، كان أكثر قبولا للاقتراض» (1).

وقد كنا نبهنا من أقبل (في الفصل الأول من هذا الباب، الفقرة : أ . 1) إلى أن المفردة كيان معقد مجرد (Entité complexe et abstraite) ذو تأليف صوتي وبنية صرفية ودلالة وانتماء مقولي. فهي إذن اتحاد لوجهين : وجه دالي يتكون من التأليف الصوتي والبنية الصرفية، ووجه مدلولي يكوّنه المدلول. ولكل مفردة انتماء مقولي إلى الاسم أو الفعل أو الصفة أو الظرف

(*) هذا فصل من باب أوّل عنوانه : «الاقتراض اللغوي» من بحث أنجز في نطاق شهادة الدراسات المعمّقة في قسم العربية بكلية الآداب بمنوبة عنوانه «الاقتراض الدلالي في المعجم»، وقد أشرف عليه الأستاذ ابراهيم بن مراد ونوقش في شهر ماي سنة 2001.

(1) Derroy (L.) : L'emprunt linguistique, p. 67.

أو الأداة [2]. وينقسم الاقتراض المعجمي بحسب الوجه المقترض من الوحدة المعجمية إلى قسمين : اقتراض معجمي حقيقي واقتراض دلالي.

2 - 1 . الاقتراض المعجمي الحقيقي :

يتصل هذا النوع من الاقتراض المعجمي بوجهي المفردة الدالي والمدلولي معا. ويمكن أن تمر المفردة المقترضة بضروب من التغيير في محاولة إدماجها في النظام المعجمي الجديد. ويمكن أن يصيب هذا التغيير الوجه الدالي أو الوجه المدلولي أو يصيبهما معا [3]. ويمكن أن تحافظ المفردة على خصائصها فلا يصيبها التغيير.

وقد حظي هذا النوع من الاقتراض المعجمي بعناية كبرى، لأنه شائع في كل اللغات [4] ولأنه سهل الاكتشاف نسبيًا للطابع الحسي في الوجه الدالي.

ويمكن لهذا الرسم أن يوضح الاقتراض المعجمي الحقيقي [5] :

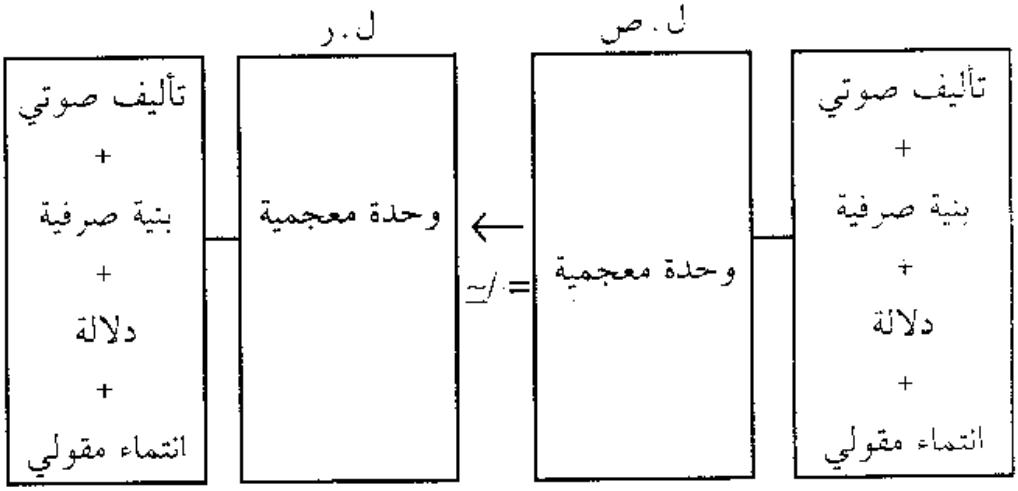

ويشير الرمز (ل.ص) الى اللغة المصدر، و(ل.ر) الى اللغة المورِد والرمزان (= و ~) إلى المحافظة على الوجه المدلولي والدالي أو تغييرهما عند الانتقال إلى اللغة المورد.

(2) ابن مراد (ابراهيم) : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 100-112.

(3) ينظر في تغيير التأليف الصوتي والبنية الصرفية من الوجه الدالي، مثلا : Baccouche (T.) : L'emprunt en arabe moderne, pp. 161-338 et 339-398 ؛ وينظر في تغيير الوجه المدلولي مثلا المرجع نفسه، ص ص 420-448؛ Deroy (L.): L'emprunt linguistique, pp. 261-272.

(4) Deroy (L.) : L'emprunt linguistique. p. 7.

(5) يمكن النظر في المرجع السابق (405 ص.) ؛ وكذلك في Baccouche (T.) : L'emprunt en arabe moderne (544 p.) وفي ذيل كل من الكتابين قائمة بالمفردات المقترضة ولغاتها المصادر.

2-2. الاقتراض الدلالي :

لئن كان الاقتراض المعجمي الحقيقي توليدا شكليا بالأساس لأنه يقوم على ظهور دليل لغوي جديد في اللغة المورد (وبذلك ظهور وجه دالي جديد بتأليفه الصوتي وبنيته الصرفية)، فان الاقتراض الدلالي ضرب من التوليد الدلالي. والتوليد الدلالي يغير الوجه المدلولي من المفردة القائمة في الاستعمال لكنه لا يصيب الوجه الدالي بأي تغيير. فهو يكون «بإسناد مدلول جديد إلى دال قائم في الاستعمال اللغوي» [6]. ويمكن لهذا الرسم أن يوضح ما يطرأ على الوجه المدلولي إثر التوليد الدلالي :

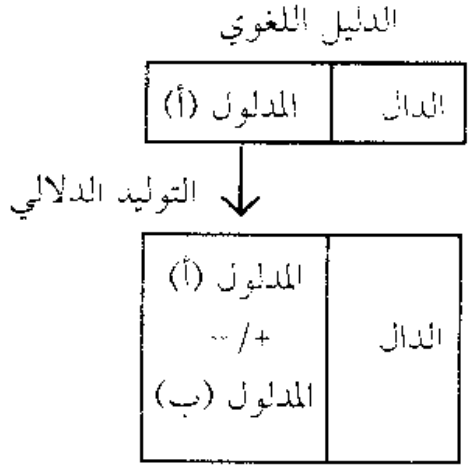

وتشير علامة (+) إلى بقاء المدلول الأصلي (أ) في الاستعمال، وعلامة السلب (-) إلى زواله. ويشير الرمز (+/-) إلى إمكانية بقاء المدلول (أ) إلى جانب المدلول (ب) الطارئ، أو زواله وحلول المدلول (ب) محله.

ولئن كان «كل توليد دلالي ذي طابع معجمي يؤدي إلى اتحاد جديد بين الدال والمدلول» [7] فإن التوليد الدلالي لا يؤدي إلى ظهور مفردة جديدة (أو دليل لغوي جديد)، بل يؤدي إلى الاشتراك الدلالي (Polysémie).

والاقتراض الدلالي قاعدة من قاعدتي التوليد الدلالي، أما القاعدة الأخرى فهي المجاز. ونهتم الآن بتحديد مفهوم الاقتراض الدلالي، ثم

(6) ابن مراد (إبراهيم) : مقدمة لنظرية المعجم. ص 153.
(7) Guilbert (L.) : La créativité lexicale. p. 64.

نخصص الفقرة التالية للتمييز بينه وبين المجاز.

إن تحديد مفهوم الاقتراض الدلالي يتطلب منا أن نبدأ بالإشارة إلى المشاكل التي تواجه الباحث لتعريف هذه الظاهرة. ويمكن أن نجمل هذه المشاكل في ضعف منزلة هذه الظاهرة في الدراسات اللغوية وخاصة العربية منها، وفي قضية المصطلحات والمفاهيم التي يمكن أن تمثل التباسا.

نجمل ضعف المنزلة في النزعة الى تحقير الظاهرة وعدم الدقة في تناولها. فان من الدارسين الذين عنوا بها مَنْ وقف موقفا لا يخلو من الأحكام المعيارية. فعُدّت الظاهرة مرضا يصيب اللغة وعدوى تنتقل اليها من اللغات الأجنبية فتغيّرها. فسميت مثلا «عدوى لغوية» [8]. ويدرجها بعض الباحثين ضمن كتب «اللحن» [9] و«التصويب» لأنها أخطاء ينبغي أن تصلح وتصوب. ومن مظاهر عدم الدقة أن هذه الظاهرة لا تعرّف غالبا. ويُهتم في هذه الدراسات ببيان الصواب الفصيح إصلاحا لـ «الخطإ». ويُتَغافل عن ذكر سبب الخطإ ومصدره الأجنبي. بل إن من هذه الدراسات ما يجهل أثر اللغات الأعجمية لأن ثقافة واضعي هذه الكتب ثقافة تقليدية.

وقد تسبب عدم تعريف الاقتراض الدلالي في الخلط بينه وبين أنواع أخرى من الاقتراض اللغوي كالاقتراض الصوتي والاقتراض الصرفي [10]. على أن من الدارسين العرب من عرفه تعريفا دقيقا، واعتبره اقتراضا للمدلول دون الدال، ونزله ضمن قواعد التوليد اللغوي [11].

أما المشكلة الثانية التي تواجه محاولة تعريف الاقتراض الدلالي فهي المصطلح. إذ يعد تعدد المصطلحات والمفاهيم صعوبة من صعوبات البحث في ظاهرة الاقتراض الدلالي، ومن أهم المصطلحات المستعملة التي تلتبس بالاقتراض الدلالي مصطلح «النسخ» (Calque)، وتكمن الصعوبة في اختلاف الدارسين في تعريف النسخ اختلافا كبيرا.

---

(8) القرمادي (صالح) : الترجمة، ص ص 7-25.

(9) يمكن أن ننظر كتب التصويب اللغوي التي تبحث في الأخطاء الشائعة. وهي كثيرة جدا.

(10) القرمادي (صالح) : الترجمة، ص ص 15-17 ؛ الهلالي (محمد تقي الدين) : تقويم اللسانين، ط 2، مطبعة المعارف، الدار البيضاء، 1984 (199 ص).

(11) ينظر مثلا : ابن مراد (ابراهيم) : مسائل في المعجم، ص ص 48-49 ؛ وللكاتب نفسه : مقدمة لنظرية المعجم، ص ص 150-156. وينظر : Baccouche (T.) : L'emprunt en arabe moderne, p. 22, 23 et 25.

ويعرف الباحثان الكنديان ج. ب. فيناي J.P. Vinay وج. داربلنيه J. Darbelnet النسخ في مسرد المصطلحات الذي وضعاه في أول كتابهما بأنه «اقتراض مركب (syntagme) أجنبي بترجمة عناصره ترجمة حرفية» [12]. كاقتراض الفرنسية لـ «Fin de semaine» عن الانغليزية «Week-end». فيعتبران الترجمة الحرفية وسيلة النسخ، ثم يعتبران النسخ والترجمة الحرفية وسيلتين من وسائل الترجمة. والترجمة الحرفية عندهما هي ترجمة «كلمة بكلمة» تؤدي إلى ظهور مقال في اللغة المورد صحيح موافق لخصائصها التعبيرية [13]. فهما يقصران النسخ إذن على «المركب».

أما مؤلفو «قاموس اللسانيات وعلوم اللغة» [14] فيقصرون النسخ على «الكلمة» و«الكلمة المركبة»، أي الوحدة المعجمية البسيطة والوحدة المعجميّة المركبة. ويشمل النسخ عند جولييت القرمادي J. Garmadi الوحدات المعجميّة المركبة خاصة، كنسخ الفرنسية لـ «gratte-ciel» [15] عن الانغليزية «sky-scraper»، كما يشمل التراكيب النحوية في ما تسميه «النسخ التركيبي» (Calque syntaxique) [16].

أما ما يضيفه النسخ إلى اللغة المورد، فيقصره فيناي وداربلنيه Vinay et Darbelnet على النفس التعبيري في ما سمياه «نسخ التعبير» (Calque d'expression) وعلى «البنية الجديدة» في ما سمياه «نسخ البنية» (Calque de structure) [17] أي إنهما قصراه على الأثر الأسلوبي والأثر الشكلي.

وركز مؤلفو «قاموس اللسانيات وعلوم اللغة» على الأثر الشكلي. فعدوا النسخ قاعدة من قواعد التوليد الشكلي ببيان ما يحدثه نسخ الوحدات المعجميّة المركبة أو المعقدة من قلب للترتيب المعهود للمُحدِّد (déterminant) والمُحدَّد (déterminé) في اللغة المورد. فأصبح قلب الترتيب «أداة منتجة في الفرنسية» [18]. وهو ما تعمق لوي غلبار L. Guilbert في دراسته [19].

(12) Vinay (J.-P.) et Darbelnet (J.) : Stylistique comparée, p. 6.

(13) المرجع نفسه، ص 40.

(14) Dubois (J.) et al. : Dictionnaire de linguistique, pp. 73-74.

(15) Garmadi (J.) : La sociolinguistique, pp. 151-152.

(16) المرجع نفسه، ص ص 159-163.

(17) Vinay (J.-P.) et Darbelnet (J.) Stylistique comparée, p. 47.

(18) Dubois (J.) et al. : Dictionnaire de linguistique, p. 74.

(19) Guilbert (L.) : La créativité lexicale, pp. 99-100 et 240-245.

بـل إن ديـروا L. Deroy يعـتبـر النسخ مـختلفا عن «اقـتـراض المعنى» (L'emprunt du sens)، لأن النسخ عنده يقوم على نسبة شكل داخلي (forme in-terne) إلى كلمة فتـصبح قابلة للنسخ حتى وإن كانت هذه النسـبة خاطئة [20]. والظاهر أن المقـصود بـ«الشكل الداخلي» لـلكلمة هو العـلاقة التي تستند إلى العناصـر المكونة للكلمة، فـيترجـم كل عنصر على حـدة ثم يصهر العنصران المتحصل عليهما - أو العناصر - في كلمة واحدة، فيكون النسخ عنده أقرب إلى التوليد الشكلي. ويبدو تعبيـر جولييت القرمادي عن الأثر الشكلي للنسخ أوضح بقولها - معرفة النسخ في مستوى المعجم - «هو اقتراض لغة (ب) من لغة (أ) وحـدة معـجمـية في شكل مـترجم (sous une forme traduite)» [21]. فالنسخ عندها اقتراض لشكل أجنبي.

ويقدم رمزي بعلبكي مجموعة من المصطلحات الانغليزية المترادفة المعبرة عن المفهوم نفسه. ويحدد مقابلاتها العربية، وهي :

اقتراض بالترجمة (كلمة مترجمة) loan translation [22]

اقتراض بالترجمة (نسخ - نقل) Calque [23]

كلمة مقترضة بالترجمة (ترجمة حرفية) Translation loan-word [24]

ويعرف هذه الظاهرة بأنها «نقل كلمة أو أكثـر من لغة ما إلى لغة أخرى بترجمـة دلالتها إلى اللغة المقـترضة لا بنقلها نقـلا مباشرا كمـا يحدث في نقل الكلمة الدّخيلة. مثلا : Counterrevolution ← ثورة مضادة ؛ semi-final نصف نهائي» [25].

الواضح مما تقدم أن «النسخ» مصطلح رُكز فيه على الأثر الشكلي الذي يضيفه إلى اللغة المورد، وإن كان بعض الدارسين لا ينكر الأثر الدلالي (رمزي بعلبكي مـثـلا). ومهـمـا يكن من أمـر فـإننا قد اخـتـرنا اسـتخـدام مـصطلح «الاقـتـراض الدلالي» لأنه يصـرح بخصيـصتين أسـاسيـتين في هذه الظاهرة : الاضافـة الدلالية إلى اللغة المورد، ومـصدر هذه الإضافـة الخارجي الأجنبي.

(20) Deroy (L.) : L'emprunt linguistique, p. 215-218.

(21) Garmadi (J.) : La sociolinguistique, p. 152.

(22) بعلبكي (رمزي منير) : معجم المصطلحات اللغوية، ص 291.

(23) المرجع نفسه، ص 81.

(24) المرجع نفسه، ص 310.

(25) المرجع نفسه، ص 291.

على أننا سنستعمل مصطلح «الترجمة الحرفية» أيضا، وخاصة عند تأكيد اعتماد الترجمة وسيلة لتحقق الظاهرة.

إن ما تبيناه من مشاكل يدفعنا إلى محاولة تعريف الاقتراض الدلالي تعريفا لسانيا دقيقا، بعد أن اخترنا المصطلح الذي رأيناه مناسبا.

تنشأ ظاهرة الاقتراض الدلالي خلال عملية الترجمة [26]، عندما يبحث المترجم عن مقابل في اللغة المورد يترجم به ما في اللغة المصدر. وتنتج عن محاولة الترجمة هذه حالتان : الحالة الأولى هي أن يوفق المترجم في إيجاد مقابل ملائم في اللغة المورد، فيكون قد تحصل على مقابل يعبّر عن المعنى المقصود ويلائم طرق التعبير في اللغة المورد. وهي الترجمة الحقيقية أو الترجمة بالمعنى، التي يُفْتَرضُ أن تتحقق دوما، لأن الترجمة تقوم أساسا على التوفيق في نقل المعنى إلى اللغة المورد نقلا يلائم طرق التعبير فيها [27]. والحالة الثانية هي أن لا يجد المترجم مقابلا في اللغة المورد، فيترجم المقابل الأجنبيّ ترجمة حرفية لا تراعي طرق التعبير فيها.

ومن أمثلة الحالة الأولى ترجمة «maison» بـ«بيت» و«livre» بـ «كتاب»، عندما يكون المعنى المقصود قد نقل إلى اللغة المورد، فاحتوى نص هذه اللغة على المعاني المقصودة في اللغة المصدر. أما الحالة الثانية فتنتهي إلى أحد أمرين : الأمر الأول أن يرفض العنصر المتحصل عليه لعدم ملاءمته النظام اللغوي في اللغة المورد، وخاصة في ما يتصل بالدلالة. والأمر الثاني هو أن يقبل ويدمج في النظام اللغوي، وهو ما ينتج عنه اقتراض المدلول الأجنبي باستناده إلى الوجه الدالي القائم في استعمال اللغة المورد. فالاقتراض الدلالي ينتج إذن عن ترجمة حرفية للوحدة المعجمية الأجنبية. ولا يتغير الوجه الدالي في الوحدة المعجمية في اللغة المورد، لكن وجهها المدلولي يتغير لقيام المدْلول المقترض مقامَهُ، ولكن دون اهمال تامّ للمدلول الأصلي. وتصبح الوحدة المعجميّة في اللّغة المورد محتوية بذلك على العناصر التالية :

---

(26) لذلك يسمى في بعض الدراسات : «اقتراض بالترجمة» - ينظر المرجع السابق، ص 291.

(27) Taber (Charles R.) : Traduire le sens, traduire le style, in : Langages, N° 28 (1972), p. 56.

1 - الوجه الدالي الأصلي ؛
2 - الوجه المدلولي الأصلي (بعضه أو جُلُّه) + المدلول المقترض.
ويمكن لهذا الرسم أن يوضح مسار الاقتراض الدلالي :

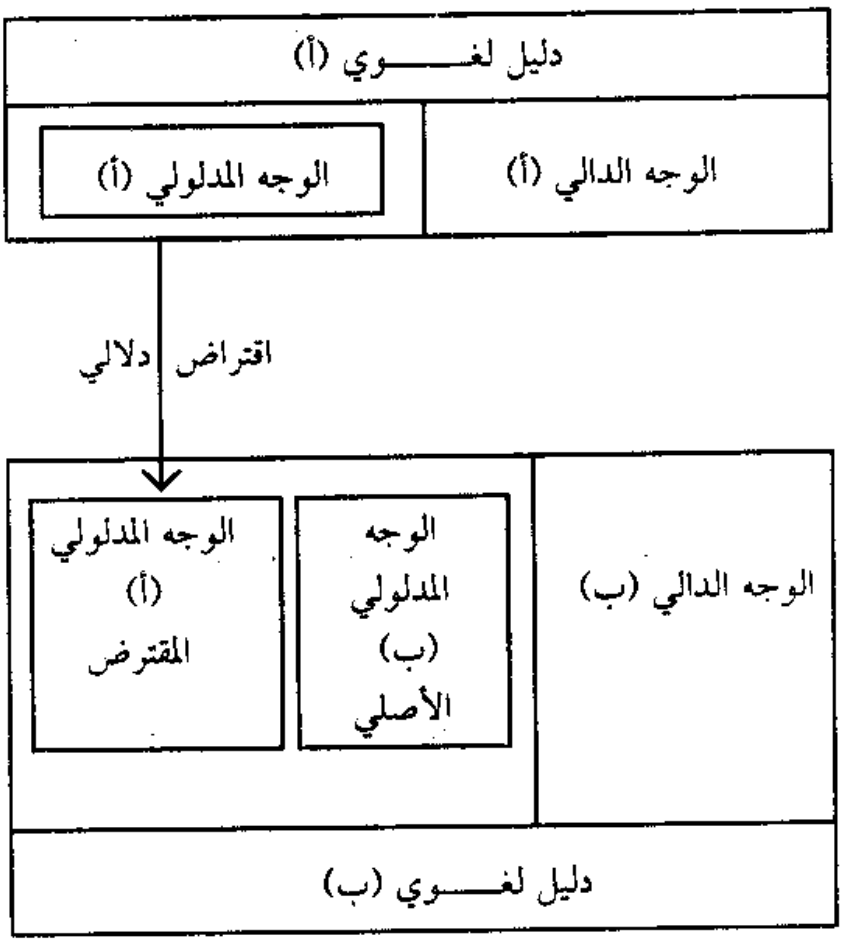

ويمكن أن نجمل شروط تحقق الاقتراض الدلالي في ما يلي :

1 - أن تكون الوحدة المعجمية الخاضعة للاقتراض الدلالي حاملة للدلالة. وهو أمر حاصل لأن الوجه المدلولي عنصر ضروري لقيام الوحدة المعجمية.

2 - أن توجد علاقة دلالية بين الوحدة المعجمية في اللغة المورد والوحدة المعجمية في اللغة المصدر، فتشترك الوحدتان في عنصر (أو عناصر) من الوجه المدلولي.

ii - أن يكون في اللغة المصدر عنصر (أو أكثر) من الوجه المدلولي لا يوجد في اللغة المورد مطلقا، وهو العنصر الذي يقترض.

ويمكن أن نمثل لهذه الظاهرة بما اقترضته العربية من خلال ترجمة المفردة الفرنسية «école» ترجمة حرفية. فإن «مدرسة» و«école» مفردتان [28] تشتركان في عنصر دلالي هو : «مكان الدرس والتعليم»، لذلك تعد ترجمة «école» بـ «مدرسة» في سياق تفيد فيه المفردة الفرنسية «مكان الدرس والتعليم» ترجمة حقيقية. لكن للمفردة الفرنسية معنى لم يكن له وجود في الوجه المدلولي من المفردة العربية، وهو «جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا، أو تقول برأي مشترك». وقد اقترض هذا المعنى وأسند إلى الدال العربي [مَدْرَسَةٌ] حين ترجمت المفردة الفرنسية «école» إلى «مدرسة» في سياق يفيد هذا المعنى، ولا يفيد المعنى المشترك «مكان الدرس والتعليم»، لذلك يقال اليوم في العربية «المدرسة الأفلاطونية» مثلا للدلالة على مجموعة الفلاسفة والمفكرين الذين يعتنقون آراء أفلاطون، وهو ما تعبر عنه الفرنسية بـ «L'école de Platon».

إن ترجمة المفردة ترجمة حرفية ممكنة نظريا في حالات كثيرة جدا. لكن تحقق الاقتراض الدلالي مرتبط بعدة ظروف أهمها ما قد تثيره الترجمة الحرفية من عُجْمَةٍ دلالية. كما أن الاقتراض الدلالي متصل بقضية الاندماج في نظام اللغة المورد، فهو متصل باللغة (langue) باعتبارها نظاما من المبادئ والقواعد، لا بالكلام (parole) باعتباره استعمالا فرديا لهذا النظام. والاقتراض الدلالي بذلك يثير جملة من القضايا نرجئ الحديث عنها إلى فصول قادمة.

لكن ما هي منزلة هذه الظاهرة في العربية ؟ وهل هي ظاهرة قديمة أم هي ظاهرة حديثة ؟ وكيف كان موقف القدامى منها ؟

إن ظاهرة الاقتراض الدلالي ظاهرة قديمة في اللغة العربية. فقد تفطن العرب قديما إلى أثر الترجمة وما يمكن أن يلحق بالعربية من اقتراض. فإن المترجم عند الجاحظ قلما يكون عارفا بالعلم المترجم معرفته بالترجمة وإحكامه إياها، وقلما يكون عالما باللغة المنقولة واللغة المنقول إليها علما متساويا. لذلك كثيرا ما يدخل الضيم على اللغة المنقول إليها «لأن كل واحدة من اللغتين

(28) اعتمدنا في تحديد معاني المفردتين : «المعجم الوسيط» و «Le Petit Robert».

تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها» [29]. وقد تفطن أبو هلال العسكري إلى ذلك أيضا، فإن «من عرف ترتيب المعاني واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى» [30]. لكن الجاحظ والعسكري لم يتوسعا في التحليل ولم يذكرا أمثلة على ذلك. لذلك يصعب إدراك ما لحق مفردات اللغة العامة من اقتراض دلالي. لكن الكتب العلمية التي أنتجها رواد الحركة العلمية العربية (بداية من القرن الثاني الهجري خاصة) تحتوي على كثير من المصطلحات التي ترجمت ترجمة حرفية من اللغات الأعجمية.

ومن أمثلة المقترضات الدلاليّة البسيطة التي تُرْجِمَتْ بها المصطلحات اليُونانية ترجمةً حرفيّةً «الظاهرُ» ترجمةً لـ «أُغْنُس» [31]؛ ومن أمثلة المقترضات المركبة «عُلّيْق الكَلْب» ترجمةً لـ «قونسُ بَاطُس» [32]، و«سِلْحُ الحيّة» ترجمةً لـ «غيرُوس أفارس» [33]؛ ومن أمثلة المقترضات المعقدة «الذي رائحتُه رائحة الورد» ترجمةٌ لـ «روذيا ريذا» [34]، و«ذو الخمسة (كذا) أوْرَاق» ترجمةٌ لـ«بِنْطَافُلُن» [35]. و«المنقسمُ لخمسة أقسام» ترمجةٌ لـ «بَنْطَاطُومُنْ» [36].

وإذْ تمكنا من تعريف الاقتراض الدلالي وبيان منزلته في العربية القديمة من خلال تمييزه عن الاقتراض المعجمي الحقيقي (باعتباره ضربا من التوليد اللغوي الشكلي)، فإننا سنميز الاقتراض الدلالي عن المجاز وهو القاعدة الثانية من قاعدتي التوليد الدلالي. وسنركز في الفقرة التالية على تحديد مفهوم المجاز لأن ذلك يزيد الاقتراض الدلالي وضوحا.

---

(29) الجاحظ (أبو عثمان) : كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، 1988، 1/ 76.

(30) العسكري (أبو هلال) : كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي وأبو الفضل ابراهيم، بيروت، 1986، ص 39.

(31) ابن البيطار (أبو محمد عبد الله) : تفسير كتاب دياسقوريدوس، 1/ 105، ص 142. ويشير الرمز 1/ 105 على التوالي إلى رقم المقالة ورقم المادة في الكتاب.

(32) المرجع نفسه، 1/ 90، ص 137.

(33) المرجع نفسه، 2/ 17، ص 161.

(34) المرجع نفسه، 4/ 41، ص 287.

(35) المرجع نفسه، 4/ 38، ص 284.

(36) المرجع نفسه، 4/ 38، ص 284؛ وتُنْظَرُ تفاصيل أكثر حول هذه الظاهرة عند ابن البيطار في مقدمة محقق الكتاب، الأستاذ ابراهيم بن مراد.

3- التمييز بين الاقتراض الدلالي والمجاز :

الاقتراض الدلالي والمجاز هما قاعدتا التوليد الدلالي. ويقومان على إسناد مدلول جديد الى دال قائم في الاستعمال لأن بِلَى المدلول لا يزامنه بالضرورة بلى الدال. لذلك يحافظ في التوليد الدلالي على الدال نفسه ويغير الوجه المدلولي من الدليل اللغويّ. ويؤدي الاقتراض الدلالي والمجاز كلاهما إلى خصيصة الاشتراك الدلالي، فإن المداليل الطارئة المسندة إلى الدال تضاف إلى المداليل الأصلية، وتكوّن كل هذه المعاني الوجه المدلولي من الدليل اللغوي. لكن بين الاقتراض الدلالي والمجاز اختلافا يعود الى مصدر المعنى المسند الى الدال القائم في الاستعمال. وقد نبهنا الى أن مصدره في الاقتراض الدلالي أجنبي لأنه مقترض بترجمة وحدة معجميّة من اللغة المصدر ترجمة حرفية. فما هي خصائص التوليد الدلالي في المجاز ؟ وما هو مصدر المعنى الطارئ المسند الى الدال ؟

إن الوجه المدلولي يتكون من مجموعة من المعانم (sémèmes) تأتلف فتكون «مفهوم» الوحدة المعجمية. ويتكون المعنم نفسه من مجموعة معينمات (sèmes) وهي جزيْئات دلالية يمكن ان تنتظم في ثنائيات متقابلة (oppositions binaires) تمثل ما يسمى بالسمات (traits) [37] وهي ذرات دلالية قابلة بدورها للتجزئة [38]. ومثالها : «إنساني / غير إنساني» و«مذكر / مؤنث» و«عاقل / غير عاقل» . . . الخ. ويقوم تحليل المكونات في بعض النظريات الدلالية على تحديد السمات المكونة للوجه المدلولي، ومثاله تحليل الوجه المدلولي للمفردة «امرأة».

[+ إنسان، - ذكر، + بالغ] [39].

ولا شك أن التصرف في شبكة السمات باضافة بعض السمات أو حذف بعضها يؤدي الى تغيير المعنى. ويسمى هذا التغيير الدلالي عادة

---

(37) Mazaleyarat (J.) et Molinié (G.) : Vocabulaire de la stylistique, P.U.F., Paris, 1989, pp. 319-320 [Sème]

(38) انظر : بعلبكي (رمزي منير) : معجم المصطلحات اللغوية، ص 442 و445 المواد التالية : seme و semanteme و semantic component (semantic feature =) ولمزيد التوسع ينظر : Piccoche (J.) : Précis de lexicologie française, pp. 68-137

(39) ابن مراد (ابراهيم) : مقدمة لنظرية المعجم، ص 47، هامش (9).

(39) Leech (Geoffrey) : Semantics, 2nd ed., Penguin Books, 1975, p. 14.

«تخصيصا دلاليا» (semantic specialization) و«تعميما دلاليا» (s. generalization) [40] لأنه يؤدي الى تضييق المعنى تضييقا مؤديا الى التخصيص أو توسيعه توسيعا مؤديا الى التعميم. و«لاشك أن تضييق المعنى أو توسيعه يعد ضربا من المجاز» [41].

ويمثل جيرارتس D. Geeraerts للتخصيص الدلالي بما طرأ على معنى المفردة الانغليزية : « queen» [42]. فمعناها القديم هو «الأم والزوجة» أي :

[+ إنسان، - ذكر، + بالغ، + زواج، + أمومة]

وخصصت الآن لمعنى «زوجة الملك» أو «الملكة»، أي :

- زوجة الملك : [+ انسان، - ذكر، + بالغ، + زواج بملك]

أو

- ملكة : [+ إنسان، - ذكر، + حكم ملكي]

أما التعميم الدلالي فيمثل له بما طرأ على المفردة الانغليزية : «moon» [43]. فمعناها الأصلي «قمر الأرض» وأصبح معناها «قمر كل كوكب».

ويؤدي تضييق المعنى أو توسيعه بواسطة المجاز [44] إلى غلبة المعنى الجديد في الاستعمال وتلاشي المعنى الأصلي رويدا رويدا منه. ومثال ذلك المفردة الفرنسية « prêtre» [45] التي تدل في الأصل على معنى «عجوز» (vieillard) أو «قديم» (ancien). وأصبحت اليوم تدل على معنى : «رتبة سامية في الكنيسة الكاثوليكية». لكن بعض المفردات تظل مفيدة للمعنى الأصلي والمعاني الطارئة بواسطة المجاز. فتجتمع كل هذه المعاني في الدليل الواحد. وهو ما يؤدي الى ظاهرة الاشتراك الدلالي. ومثال ذلك مفردة «operation» الانغليزية و«opération» الفرنسية. فهما تفيدان معنى «فعل أو عمل» الذي اخذتاه من اللاتينية [46]. ثم أضيفت اليهما معان أخرى مثل «العملية الحسابية»

(40) Geeraerts (D.) : Semantic Generalization and Specializatrion, pp. 3804b-3805a

(41) عمر (أحمد مختار) : علم الدلالة، ص 120.

(42) و(43) Geeraerts (D.) : Semantic Generalization and Specialization, p. 3805a والتحليل تحليلنا.

(44) تنظر أمثلة أخرى في : Darmesteter (A.) : La vie des mots, pp. 42-78 ; Vendryes (J.) : Le langage, 2e éd., Albin Michel, Paris, 1968, pp. 220-224 ؛ وعبد التواب (رمضان) : التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه، ط. 2، القاهرة، 1995، ص ص 199-201 ؛ عمر (أحمد مختار) : علم الدلالة، ص ص 242-250.

(45) Darmesteter (A.) : La vie des mots, p. 44 . واعتمدنا كذلك «Le Petit Robert».

(46) ينظر : Skeat (W.W.) : The Concise Dictionary of English Etymology, 3rd ed., Wordsworth editions, Hertfordshire, 1995, p. 315 و Le Petit Robert.

و«العملية الجراحية» و«العملية العسكرية» و«الصفقة التجارية»، وهي المعاني التي مازالت قائمة في الاستعمال اليوم.

ونكتفي بالتمثيل لظاهرة الاشتراك الدلالي في المفردة الفرنسية «opération» (47)، الناتجة عن التوليد الدلالي بالمجاز، بهذا الرسم :

	- المعنى الأصلي (أ) : «فعل أو عمل» (ق. 13م)
دال [pɔRasjɔ̃]	- المعاني الطارئة بالمجاز : * معنى (ب) : «مسار ذو طبيعة محددة يمكّن، انطلاقا من عناصر معروفة، من توليد عنصر جديد منها». (1613م). * معنى (ج) : «كل فعل آلي في جزء من الجسم الحي غرضه تغيير هذا الجزء أو قطعة أو استئصاله» (1690م). * معنى (د) : «مجموعة التحركات والضربات القتالية التي تمكن من تحقيق هدف، وضمان دفاع عن موقع ونجاح هجوم» (1701م). * معنى (هـ) : «بيع أو شراء يحقق في البورصة...» (ق. 18م). * معنى (و) ...

ولئن تولدت هذه المعاني في اللغة الفرنسية بواسطة المجاز، فان تعبير المفردة العربية «عملية» عن هذه المعاني قد تولد بواسطة الاقتراض الدلالي لأنها ترجمة حرفية للمفردة الأعجمية.

ويمكن التمثيل للمجاز في العربية القديمة بما سماه ابن فارس «الألفاظ الاسلامية» (48). إذ أسندت الى بعض الدوال القائمة في الاستعمال مفاهيم جديدة ظهرت بظهور الاسلام. ومنها «الفسق»، فمعناه الاصلي الحقيقي «خروج الرطبة عن قشرها»، وأصبح يعني بواسطة المجاز «الخروج عن طاعة

(47) اعتمدنا «Le Petit Robert» في تحديد المعاني وتاريخ ظهور كل معنى في الفرنسية. وتنظر المعاني نفسها في المفردة الانقليزية «operation» في : Manser (M.) and Thomson (M.) (ed.) : Combined Dictionary Thesaurus, 2nd ed., Chambers, 1997, p. 869 وينظر المثال في : عمر (أحمد مختار) : علم الدلالة، ص ص 136-137.

(48) ابن فارس (أبو الحسن أحمد) : الصاحبي، ص 78.

الله» [49]، والجلي هو أن بين المعنى الاصلي الحقيقي والمعنى المجازي صلة دلالية، كأن تكون المشابهة أو صلة الجزء بالكل أو صلة الكل بالجزء أو صلة السبب بالمسبب [50]...

وقد أصبح المجاز في العربية الحديثة قاعدة لوضع المصطلحات تغني عن الالتجاء الى الاقتراض المعجمي الحقيقي، فتجنب اللغة كثافة الدوال [51] محققة مبدأ الاقتصاد في الظاهرة اللغوية. ويحدد الجدول التالي المعاني الأصلية والمعاني المجازية في مصطلحات وسائل النقل العصرية.

المصطلح	المعنى الأصلي	المعنى المجازيّ
- القطار	- قطار من الابل : «عدد منها بعضه خلف بعض على نسق واحد»	- «مجموعة من مركبات السكة الحديدية تجرها قاطرة»
- السيارة	- «القافلة»	- «عربة آلية سريعة السير تسير بالبنزين ونحوه وتستخدم في الركوب أو النقل»
- الحافلة	- من حفل القوم : «احتشدوا»	- «مركبة كبيرة عامة «تسير بالبنزين وغيره».
- الدرّاجة	- «العجلة يدرج بها الصبي أول مشيه»	- «مركبة من حديد ذات عجلتين تسير بتحريك القدمين أو بالوقود»
- الطائرة	- الطائر من الحيوان : «كل ما يطير في الهواء بجناحين»	- «مركب آلي على هيئة الطائر يسبح في الجو ويستعمل في النقل أو الحرب».

إن الأمثلة التي قدمناها عن قاعدة المجاز تثبت أن مصدر المعنى المسند الى الدال القائم في الاستعمال قد نشأ عن تطور دلالي داخلي استند الى علاقات دلالية كالمشابهة والجزئية والكلية والسببية... إلخ. ولم ينشأ عن ترجمة حرفية تحققت فيها شروط تحقق الاقتراض الدلالي التي كنا نبهنا إليها في الفقرة السابقة. لذلك يمكن أن نعد توفر تلك الشروط معيارا للتمييز بين الاقتراض الدلالي والمجاز.

(49) نفسه، ص 84. وقد اعتمدنا «المعجم الوسيط» لتحديد المعاني.

(50) تنظر كتب البلاغة العربية، وخاصة ما اتصل بالمجاز المرسل.

(51) Darmesteter (A.) : La vie des mots, p. 40. ويحدد هذا الكتاب العلاقات الدلالية التي يتحقق من خلالها المجاز. انظر : ص ص 40-70.

4 - خاتمـــة :

قام تحديدنا لمفهوم الاقتراض الدلالي على تمييزه عن الاقتراض المعجمي الحقيقي، وتمييزه عن المجاز. فبينا أن الاقتراض الدلالي يقوم على أخذ المدلول من الوحدة المعـجمية الأجنبـية وليس على أخذ الوجهين الدالي والمدلولـي معا كمـا هو الشأن في الاقتـراض المعجمي الحـقيقي. ثم نزلنا الاقـتراض الدلالي ضمن التوليد الدلالي وبينا أن تحديد مفـهومه يتطلب طرح المشاكل التي تثيرها دراسـته. ومن هـذه المشاكل ضـعف منزلتـه في الدراسـات اللغـوية والتبـاسـه بالنسخ وبقـاعـدة التولـيد الدلالي الثـانيـة وهي المجـاز. وقد حـاولنا تعـريف الاقتراض الدلالي وتحديد شروط تحققه ومـيزناه عن المجاز اعتمادا على مصدر العناصر الدلالية المسندة الى الدال في التوليد الدلالي.

فتحـي جميّـل
جامعـــة منوبـــة

قائمة المراجع :

1 - المراجع العربية :

ابن البـيطار (أبو محـمد عـبد الله) : تفـسيـر كتـاب دياسقـوريدوس، تحقيق ابراهيم بن مراد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1989.

ابن فـارس (أبو الحسن أحـمد) : الصـاحبـي في فقـه اللغة وسنن العـرب في كلامـها، تحـقيق السـيد أحـمـد صقـر، مطبعـة عيسى البـابي الحلبي وشركائه، القاهرة، 1977 [الصاحبي].

ابن مـراد (ابراهيم) : مـسـائل في المعجـم، دار الغرب الاسـلامي، بيـروت، 1997.

ـــ مقدّمة لنظرية المعجم، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997.

بعلبكي (رمزي منـير) : معجم المصـطلحات اللغوية (أنجليـزي - عربي)، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

عمر (أحمد مختار) : علم الدلالة، ط.2، عالم الكتب، القاهرة، 1988.

القرمادي (صالح) : الترجمة من حيث هي عامل مهم من عوامل العدوى اللغوية، في : حوليات الجامعة التونسية، 11 (1974)، ص ص 7-25 [الترجمة].

مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط، ط. 2، دار الدعوة، اسطمبول، (نشرة 1990)، 1972، (ط. 1، 1960) (جزءان).

2 - المراجع الأجنبيّة :

Asher (R.E.) (ed) : The Encyclopedia of Language and Linguistics, Porgamon Press, Oxford, New York, Séoul, Tokyo, 1994, (10 vol.) [E.L.L.].

Baccouche (Taïeb) : L'emprunt en arabe moderne, Beit Al-Hikma-I.B.L.V., Tunis, 1994.

Darmesteter (Arsène) : La vie des mots, Champ Libre, Paris, 1979, (1ère éd., 1887).

Deroy (Louis) : L'emprunt linguistique, Les Belles Lettres, Paris, 1956.

Dubois (Jean) et al. : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, 1994, [Dictionnaire de linguistique].

Garmadi (Juliette) : La sociolinguistique, P.U.F., Paris, 1981.

Geeraerts (D.) : Semantic Generalization and Specialization, In : Asher (R.E.) (ed.) : E.L.L., Vol. 7, p. 3804-3805.

Guilbert (Louis) : La créativité lexicale, Larousse, Paris, 1975.

Picoche (Jacqueline) : Précis de lexicologie française, 2ème éd., Nathan, Paris, 1992 (1ère éd., 1977).

Robert (P.) : Le Petit Robert, 3ème éd., Robert, Paris, 1982.

Vinay (J.-P.) et Darbelnet (J.) : Stylistique comparée du français et de l'anglais : Méthode de traduction, 2ème éd., Didier, Paris, 1977, (1ère éd., 1958), [Stylistique comparée].